مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية
مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية التربية الأساسية /جامعة بابل

دلالات الفضاءات المغلقة والمفتوحة في روايات حسن الموسوي

الباحثة: آية حسين بشان محمد أ.د. راسم أحمد الجرياوي
جامعةُ بابل / كليةُ التربية الاساسية

The Implications of Closed and Open Spaces in Hassan Al-Mousawi's Novels

Researcher: Aya Hussein Bashan Muhammad
ayaaafatly@gmail.com
Professor: Rasim Ahmed Al-Jariwi
basic.rasem.ahmed@uobabylon.edu.iq
University of Babylon / College of Basic Education

Abstract

Hassan Al-Mousawi's novels are notably distinguished by their artistic use of spatial dualities, particularly the interaction between closed and open spaces. This significantly influences the development of events and deepens the psychological and social understanding of the characters. These spatial dualities reflect the character's conflicts and the novelist's worldview, enriching the narrative with complexity and vitality. The duality of space in his works not only forms the narrative environment but also conveys symbolic and imaginative connotations, highlighting the importance of spatial relationships in constructing a meaningful narrative.

Hassan Al-Mousawi's novels are distinguished by their artistic use of space as a duality, reflecting personal conflicts and the author's worldview, deepening the psychological portrayal of the characters and shaping the narrative environment. The concept of spatial polarization, including the duality of closed and open spaces, plays a crucial role in the development of events and the transmission of social and psychological connotations in his works.

These dualities, particularly closed and open spaces, enrich the narrative by providing symbolic and imaginative dimensions that enhance the reader's understanding of characters and themes.

Keywords: Place, closed, open, house, room, street, road, hotel, attract, Hassan Al-Moussawi.

الملخص

تتميز روايات حسن الموسوي بشكل ملحوظ بتوظيفها الفني للثنائيات المكانية، لا سيما التفاعل بين المساحات المغلقة والمفتوحة، مما يؤثر بشكل كبير على تطور الأحداث ويعمق الفهم النفسي والاجتماعي للشخصيات، تعكس هذه الثنائيات المكانية صراعات الشخصية ورؤية الروائي للعالم، مما يُثري السرد بتعقيد وحيوية، لا تُشكل

ثنائية المكان في أعماله البيئة السردية فحسب، بل تنقل أيضًا دلالات رمزية وخيالية، مُبرزةً أهمية العلاقات المكانية في بناء سرد ذي معنى.

تتميز روايات حسن الموسوي باستخدامها الفني للمكان كثنائية، تعكس صراعات شخصية ونظرة الكاتب للعالم، مما يُعمّق التصوير النفسي للشخصيات ويُشكّل البيئة السردية.

يلعب مفهوم الاستقطاب المكاني، بما في ذلك ثنائية الفضاءات المغلقة والمفتوحة، دورًا حاسمًا في تطور الأحداث ونقل الدلالات الاجتماعية والنفسية في أعماله.

تساهم هذه الثنائيات، وخاصةً الفضاءات المغلقة والمفتوحة، في إثراء السرد من خلال توفير أبعاد رمزية وخيالية تُعزز فهم القارئ للشخصيات والموضوعات.

الكلمات المفتاحية: مكان، مغلق، مفتوح، البيت، الغرفة، الشارع، الطريق، الفندق، استقطاب، **حسن الموسوي.**

المقدمة:

تُعدّ الرواية من أهم الأنواع الأدبية المعاصرة؛ بسبب طبيعتها المقترنة بالانفتاح على الأنواع الأُخر سواء كانت شعراً أم نثراً. قام هذا البحث من حيث هيكليته على مقّدمة وتمهيد وتناول التقاطبات المكانية ومنها تم التطرق الى المكان المغلق والمكان المفتوح ومن ثم خاتمة لخّصت أهم النتائج التي توصل إليها البحث، تضمّن **التمهيد** على محاور بارزة، هي: مفهوم التقاطبات المكانية وبعدها تم التطرق الى بعض الثنائيات ومنها المكان المغلق والمكان المفتوح.

أولاً: التمهيد:

تُعدّ التقاطبات المكانية أداة مهمة نستطيع من خلالها التمييز بين أنواع الأمكنة، ففي الحياة والموت وكذلك الليل والنهار والشمس والقمر نجد ثنائيات مخصصة لتصنيف المكان في منحى وجود قطبين متناقضين، أي إنَّ الأمكنة " تُصَنَّف، وتُبْحَث دلالاتها في شكل ثنائيات ضديَّة، حيث تعبر عن العلاقات والتوترات بين قوى مختلفة، وقيم متعارضة تبعًا لهذا التصور، ويمكن تصنيف الأمكنة في السرد إلى ثنائيات متعارضة انطلاقًا من مفهوم المسافة **(قريب . بعيد)** أو الحجم **(صغير . كبير)** أو الأتساع **(محدود . اللامحدود)** " [١:١٠١]، أي بمعنى أن هذه الثنائيات يتم على وَفقِهَا التعبير مكانيًا باستعمال الاتجاهات؛ لجعل الأمور المعقدة تتسم بالسهولة.

وقد برز مصطلح **(التقاطبات المكانية)** بِمفاهيم متعددة بحسب المذاهب والاتجاهات، مثل الثنائيات المكانية . الأماكن المتضادة . الأماكن المتقابلة الخ، وعلى الرغم من تعدد المفاهيم المتجسدة في المكان الروائي تحضر "هذه التقاطبات عادة في شكل ثنائيات ضدية بين قوى أو عناصر متعارضة، بحيث تعبر عن العلاقات والتوترات التي تحدث عن أتصال الراوي أو الشخصيات بأماكن الأحداث " [٢:٣٠]، أي بمعنى أن الراوي يستخدم هذه الثنائيات كي يوضح لنا علاقة الشخصيات ومدى تأثيرها بالمكان. اختلفت الآراء حول مفهوم التقاطبات اختلافًا

واضحًا، ومن أوائل النقاد الذين أشاروا إلى مفهوم التقاطب المكاني**(غاستون باشلار)(١٨٨٩م-١٩٦٢م)** في كتابه **(جماليات المكان)**، إذ استعمل هذا المفهوم، وقام " بدراسة جدلية الداخل والخارج المتضمنة في المكان، وعارض بين القبو والعلية، وبين البيت واللابيت، وجدلية الانفتاح والانغلاق كتقاطبات رئيسة، تكشف إلى حد ما جمالية المكان في النص" [٣:٣١]، أي إنَّ المكان يكتسب جماليته من التقاطبات المكانية؛ فيصحُّ قولُنا: الداخل لا يفهم، ولا يتِمُّ معناه إلا بذكر نقيضه **(الخارج)**، وكذلك بالنسبة إلى الانغلاق والانفتاح، فهما لا يتحققان إلا معًا، كما أسس **(يوري لوتمان)** نظرية التقابلات المكانية عام **(١٩٧٣م)**في كتابه **(بنية النص الفني)**، حيث تطرق من خلاله إلى لمفهوم الثنائيات المكانية، وأعطى رؤية واسعة عنها، وقد أشار حسن بحراوي إلى نظرة **(لوتمان)**، حيث يرى أن التقابلات المكانية لها أَثَرٌ مهم، وربَّما حاسمٌ في تمام الدلالة، حيث إنَّ من طبيعة الإنسان ترجمة المجردات وتوضيحها من خلال الحواس، وهذه التقابلات غير ثابتة، فقد تتغير بحسب بنية النص.[٤:٣١]

نلحظ مِمَّا سبق أن دلالة المكان ليست ثابتة، بل تتغير بحسب سياق النص، وتختلف من نص إلى آخر.

وقدم الناقد **(جان فسيجرير)** في مؤلفه الفضاء الروائي عام (١٩٧٨م) البناء النظري لمنهجية التقاطب، حيث اقترح جانبًا نظريا، يرتكز على مفهوم الفضاء الإقليدي الفيزيائي، حيث فسر عددًا من الطرق التي تعتمد على ربط هذه الثنائيات المتناقضة مثل: **(اليمين، اليسار. الأمام، الخلف . الأعلى، الأسفل) فضلًا عن المسافة** والحجم والاتساع؛ إذ يرى هذه التقاطبات لا ينفي بعضُها بعضَها الآخر، بل يجب أن تتكامل مع بعضها؛ لتقدم مفاهيم تساعد على تفسير العناصر السردية داخل النص [٥:٣٢]، كما تعد الرواية من وجهة نظر عددٍ من النقاد والباحثين مرآةً وانعكاسًا للحياة والمجتمع؛ فإن " وجود التناول الثنائي لعالم الرواية يكسبها حيوية وحركية وتتسم بالتناقض المطرد شمولًا وعمقًا" [٦:٧٠]، أي إنَّ وجود هذه الثنائيات يجعل الرواية أكثر عمقًا.

ويمكن القول إن **(التقاطبات المكانية)** تعكس لنا صراعاتٍ شخصيَّةٍ أو رؤية الروائي للعالم الذي تدور فيه الأحداث، وتعميق الرؤية النفسية للشخصية، كما أن لها دورًا مهمًا في تشكيل الفضاء الروائي؛ فقد نالت نصوص **(حسن الموسوي)** حظًا وافيًا عند الأدباء والنقاد؛ إذ يبرز فيها التوظيف الفني للمكان بوصفه ثنائية، وهذا سنتكلم عنه في هذا الفصل مع الاستشهاد بأعماله الروائية.

ثانياً: المكانُ المُغْلَقُ والمكانُ المفتوحُ:

تؤدي الأماكن المغلقة والمفتوحة دورًا مهمًا في نمو الأحداث؛ فَكُلٌّ مِنهما له أَثَرٌ مهم في إثراء المتلقي بمعلومات لفهم الشخصيات، فثنائية المكان المغلق والمفتوح تنضج من خلال الأثر الوظيفي لِكُلٍّ منهما في العمل الروائي.

والمكان سواء " أكان مغلقاً أم مفتوحاً يستطيع أن يفسر كثيراً من الدلالات الاجتماعيَّة والنَّفْسِيّة وإحالتها على عالم رمزي أو واقعي متخيّل".[٧:٧٤]

ثالثاً: المكان المغلق:

يشير المكان المغلق إلى الأحداث التي تدور في الرواية، يكون محصورًا بمساحة محدودة، مثل البيت والغرفة والسجن والفندق الخ، فهو" مكان العيش والسكن الذي يأوي الإنسان، ويبقى فيه حقبات طويلة من الزمن سواء بإرادته أم بإرادة الأخرين، لذا فهو المكان المؤطر بالحدود الهندسية " [٨:٩]، ومكان العيش هذا إمَّا يكون بإرادة الإنسان وإمَّا يكون بغير إرادته؛ فهو محدود بحدود هندسيَّة معلومة، مثل الجدار.

ولابد أن نسلط الضوء على جهود الفيلسوف الألماني **(غاستون باشلار)**؛ إذ تكلم عن المكان المغلق " أن النقطة الأساسية التي ينطلق منها المؤلف هي البيت القديم، بيت الطفولة، هو مكان الألفة، ومركز تكييف الخيال وعندما نبتعد عنه نظل دائمًا نستعيد ذاكره، ونسقط على الكثير من مظاهر الحياة المادية ذلك الإحساس بالحماية والأمن اللذين كان يوفرهما البيت" [٩:٧٥]، نلحظ من خلال هذا الكلام أهمية البيت بوصفه الملاذ الآمن الذي يحتضن الإنسان مُنْذُ طفولته؛ فهو يجمع بين الواقع الذي يعيشه و ذكرياته في الماضي؛ فصفة الأمان تتجلى فيه بحفظه ذكريات الإنسان التي تشكل جزءًا من تاريخه وكينونته وربما شخصيَّته.

يستعمل الروائي (حسن الموسوي**) الأماكن المغلقة في رواياته بشكل ملحوظ للدلالة على رمز أو لبيان قضية معينة ومن هذه الأماكن المغلقة ما يأتي:**

رابعاً: الغرفة:

تعد الغرفة من أهم المرتكزات الأساسية في العمل الروائي؛ كونها الإطار الذي تقع فيه الأحداث، فهي مكان داخل المنزل، فيه الأريكة والسرير، وقد يشتمل على شرفة مطلة على الخارج، فإن " الغرف في تكوينها الفكري حاجات لا بديل لها، وحاجات تتزايد بتعدد الحاجات الجديدة، وهكذا تدخل في دائرة متشابكة مستمرة من الحياة، ترافق رحلة طويلة لا نهاية لها " [١٨:١٠-١٩]، أذن تشكل الغرفة فضاء مهم عند الروائي وكذلك في ذهن القارئ.

ونجد في روايات **(حسن الموسوي)** نصوصًا تتجسد فيها الغرفة بشكل ملحوظ وبكثرة، ففي رواية **(ليتني لم أفق)** يتجلى لنا هذا المفهوم واضحًا؛ إذ يقول فيها:

((قرب إحدى الغرف استوقفتنا احدى الممرضات والتي بادرت بالقول:

. أنها ليست هنا!

تطلع خالي في أرجاء الغرفة، فيما أطرقت الممرضة برأسها أرضًا:

. إنها في الثلاجة اللعينة؟ صرخ خالي في وجهها: أنها في نهاية الممر... . وأين تقع تلك الثلاجة اللعينة؟ صرخ خالي في وجهها: أنها في نهاية الممر خارج المبنى قالت ذلك وتركتنا ومضت)) [١١:٣٦]

فالمكان المغلق في هذا النص بكل تجلياته**(المستشفى، الغرفة، الممر، الثلاجة)** لا يوحي بشيء سوى الخيبة على الرغم من أن مبنى المستشفى يمثل "ملجأ كل مريض يصنع الراحة النفسية، ويقدم العلاج الأمثل المختلف الأمراض، لا يجد المريض في سواه حلا سواء أكان البيت أم الشارع أم المدينة، فيه يستشعر الاطمئنان، ويأمل في الشفاء، يحكي همومه و أحلاه وآماله" [١٢:٣٦]، وقد يرمز المكان المغلق هنا إلى حالة من الضياع وعدم اليقين، وربما يشير إلى المسافة بين الشخص والهدف الذي يسعى إليه؛ فيعبر عنه بأنه مكان مملوءٌ بالتوتر والقلق من خلال ربطه مع المستشفى؛ حيث تخبره إحدى الممرضات أنها " ليست هنا " مما يعكس شعور بالضيق والتوتر وكذلك وجود "الثلاجة"؛ بوصفها مكانًا مغلقًا بعيدًا عن الحياة، لكنه لا يمنح بالضرورة إحساسًا بالحرية، بل ربما يزيد الشعور بالرهبة والتوتر، وكلمة "خارج" تعني الانفصال عن الداخل، ولكنَّها قد توحي أيضًا بمكان مجهول أو غير مألوف، أو غير مرغوب فيه؛ مِمَّا يعزز التشويق والغموض في النص.

وعند الانتقال إلى نص آخر من الرواية نفسها يتجلَّى لنا المكان الملحوظ**(الغرفة)** بشكل واضح، حيث قال: **((بعد مغادرتي لتلك الغرفة قام الطبيب بفحص أذني بواسطة ناظور ضوئي، وحين الانتهاء من المعاينة تناول ملفي ليبره بتلك العبارة:**

(ناجح في الاختبار).

في باحة رئيسية أخذ أحد الضباط بجمع ملفات الطلاب الناجحين صائحًا بصوت عالٍ:

- **مبارك عليكم اجتياز الاختبارات الطبية، وما عليكم الان سوى اجتياز المقابلة لضمان قبولكم في الكلية))**[١٣:٣٢].

يعتمد الروائي على أسلوبه الخاص في جعل القارئ يتأمل، لماذا اختار هذا المكان؟ "إن البعد المكاني على الحقائق المجردة أي أثر الصورة في تشكيل الفكر البشري، أو أثر الرمز في تجسيد التصور العام للبشر" [١٤:١٠٤]، فالمكان المغلق هنا **(الغرفة)** أن دلالتها هنا لها خصوصية خاصة في ذهن القارئ والتي يرجح أنها كانت غرفة الفحص الطبي، هو إجراء يتطلب تركيزًا وانعزالًا، ويشير إلى أن "**ناظورًا ضوئيًا**" استعمله الطبيب لفحص الأذن؛ مما يعزز فكرة التدقيق والتفحص الدقيق الذي يتطلب بيئة مغلقة، والمكان الآخر "**الباحة الرئيسة**" يتسم بالاتساع والانفتاح؛ إذ جمعَ الطلابَ كلهم، وتم الإعلان عن اجتيازهم الفحص، وأُعلنت النتائج بصوتٍ عالٍ، حيث نلحظ انتقاله واضحة من مكان ضيق إلى مكان يتسم بالاتساع.

كما ورد المكان المغلق **(الغرفة)** في رواية **(طفل ودفتر ذكريات)**، إذ وصف فيها التجربة الشخصية التي مرَّ بها، وهو في غرفة التعذيب، إذ قال:

((في المتر المربع تخيلت نفسي وأنا جالس معصوب العينين في غرفة التعذيب فيما كان المسؤول عن التحقيق يخيرني بين الإعدام بالرمي في أحواض التيزاب أو الرمي في مثرامة اللحم العملاقة المنتصبة عند ضفة نهر دجلة في الشعبة الخامسة، في المتر الخامس، ثمة نداء خفي يهمس في أذني بأن هذا هو يومك الأخير على وجه البسيطة)) [١٥:٣٧]. يقدم هذا النص مكانًا مغلقًا (الغرفة)، وهو مكان راوي التجربة التي مرت على الشخصية داخل الغرفة بشكل يوحي بحقيقة ما موجودة فيها. فالألم الذي عاشه، وشاهده أثناء الأحداث التي يمر بها البلد يدلُّ على مرارة الظروف التي يعاني منها؛ فالمكان المغلق هنا**(غرفة التعذيب)**؛ إذ تم تعذيبه، فانعكست حالة الألم عليه؛ فصار كل شيء داخل الغرفة له دلالة أليمة. وأن شعوره ورؤيته للمكان متصلة بالرؤية السابقة التي عاشها، ففقد الأمان في داخله، وفي النتيجة فقد الأمان بمحيطه، فازداد الألم الذي عاشه؛ لأنه أصبح شاهداً على الممارسات القمعية للنظام السابق؛ إذ يعاني كثير من الناس في ذلك النظام البائد من الاعتقالات العشوائية، بذنب أو من دون ذنب؛ وهذا ما حدث معه، إذ يسرد الراوي أحداث اعتقاله، على يد رجال ذلك النظام للتحقيق والعقاب، وسلط الضوء على قضية مهمة في تلك الحقبة من الزمن، هي اعتقال كل من يشتبه في كونه معارضًا لنظام البعث المنحل، وكل من لا ينتمي لحزب البعث، وكل من لديه أقرباء، أو أصدقاء لهم أفكار معادية لذلك النظام، ويكون مصيره السجن والتعذيب بأساليب كثيرة.

ويمكنني القول إن هذا النص جاء معبرًا عن معاناة المجتمع داخل المدينة، وموثِّقًا لها، وانعكست تلك الظاهرة على خارج المدينة كذلك بالشعور بالتوتر والرهبة، أما قوله **(مثرامة اللحم العملاقة عند نهر دجلة)** فالكلام فيه حقيقيٌّ يصف الحال والواقع؛ فالمكان المغلق هنا هو **(مثرامة اللحم العملاقة)** الواقعة عند ضفة نهر دجلة، فهو مكان ممتلئٌ بالرعب والموت. وفي هذا مفارقة دلاليَّة تتجلى في الجمع بين دلالة هذا المكان وبين دلالة النهر **(دجلة)**؛ فالنهر يرمز إلى الحياة والجريان، ولكنَّ المثرامة ترمز إلى الموت والدمار والخراب، فالأحداث التي يرويها الراوي تجسد الواقع الحقيقي الذي كان يعيشه المجتمع في حكم النظام السابق بلا رتوش أو مبالغةٍ أو تفخيم.

خامساً: البيت:

هو الملاذ الأمن الذي يأوي إليه الإنسان، فهو مكان الاستقرار والذكريات القديمة، ولاسيّما ذكريات الطفولة، من خلاله نسترجع أحداث وذكريات حدثت في الماضي، فهو كالذاكرة الحية الذي تنبض بها الروح، حيث يشكل البيت" مجموعة من الصور التي تعطي الإنسانية براهين أو أوهام التوازن ونحن نعيد تخيل حقيقتها باستمرار ولتمييز كل هذه الصور يعني أن نصف روح البيت: أنها تعني وضع علم نفسي حقيقي " [١٦:٤٥].

وقد وظف الروائي (حسن الموسوي) البيت في عددٍ من نصوصه، منها رواية (صرخة من ذاكرة امرأة)، إذ قال الراوي:

((في لجة الأحداث المتسارعة بدأ القلق يقتحم عالمي المتهرئ لذلك قررت العودة إلى البيت بعد أن راودني إحساس غريب بأن مصيبة كبيرة قد أطلت برأسها في ربيع حياتي.
سترك يا رب! قلت بانكسار شديد... ما الذي حل بعائلتي؟
بدأت الوساوس والأفكار المخيفة تطرق مخيلتي من جديد لا أعرف لما بدأت نبضات قلبي بالتسارع كلما أفكر في عائلتي))[١٧:٢٠].

فالبيت هنا يمثل مكانًا مغلقًا، وهو عادة ما يرمز إلى الأمان والاستقرار إذ إنّ " لا شيء في البيت يمكنه أن يكون ذا دلالة من دون ربطه بالإنسان الذي يعيش فيه " [١٨:٤٤]، لكن في هذا السياق، يبدو أنّ القلق والخوف يرافقانه حتى داخله بدلاً من الشعور بالراحة عند الاقتراب من البيت، تزداد نبضات قلبه وتسوء حالته النفسية، مما يعني أنّ الخطر ربما لا يكمن في الخارج فقط، بل قد يكون متجذرًا داخل بيئته الأسرية فهو جاء بمعنى مغاير لما عرف به البيت " **بالحماية والاحتماء**"[١٩:٩٧].

وفي سياق أخر نلحظ في رواية **(طفل ودفتر ذكريات)** حضورًا ملحوظًا للبيت، إذ يتجلى ذلك في قوله:
((على الفور أوقدت الشموع في جميع أركان البيت إعلانا للحداد أمام صورة زوجتي وقفت بعد أن خلعت حزامي الجلدي رميته جانبا بانفعال شديد. في لجة الغضب لم أستطع أن أستجمع قواي الخائرة لكنني شعرت براحة وأنا أتخلص من حزامي لجلدي. شعور غريب وكأنني تحررت من تأنيب الضمير والشعور بالتقصير تجاه زوجتي في وقت كنت فيه حينها عاجزا عن حمايتها)).[٢٠:٥٠]

يعد البيت من الأماكن المغلقة؛ لأنه محدود بحدود هندسية التي تفصله عن العالم الخارجي، يلجا إليه الإنسان بوصفه مكانًا للراحة والأمن والطمأنينة والحماية؛ إذ يقيه حر الصيف وبرد الشتاء، وكل ما يواجههُ من أخطار في الخارج إذ يعد البيت " ركننا في العالم، إنه كما قيل مرارًا كوننا الأول " [٢١:٣٦]؛ فالبيت مكان يلجأ إليه الإنسان طلبًا للاستقرار، كما يعتبر البيت مكانًا واسعًا فهو ليس مجرد رقعة هندسية ؛ بل أشمل وأوسع من ذلك ؛ فهو يعبر عن الوجود " الحقيقي للإنسانية الخالصة التي تدافع عن نفسها دون أن تهاجم هذا البيت هو المقاومة الإنسانية وعظمة الإنسانية" [٢٢:٦٦]، نلحظ أنَّ **(البيت)** في هذا النص مثَّلَ المكان المغلق الأبرز، وهو يحمل معاني الحزن، والعزلة، والحداد المتجلّية في إشعال الشموع في أركانه جميعها؛ فيطغى الإحساس بالسكون والرهبة، فالظلمة تملأ النفس قبل أن تملأ المكان، إنَّ هذا المشهد يعكس العجز والضيق النفسي الذي يمر به الراوي، إذ تحولت الجدران إلى قيد معنوي يحاصر مشاعره، والرمزية توضح التباين النفسي **(الحرية الرمزية)** حين خلع الراوي حزامه الجلدي ورماه بانفعال، كان ذلك كفعل تحرري، وكأن قيود الشعور بالذنب قد حلَّت الحزام الذي قد يرمز إلى السلطة، أو الالتزام، أو الذكرى المؤلمة، وفي النتيجة يكون التخلص خطوة نحو التحرر من الماضي

المثقل بالعجز والتقصير؛ فالشعور الناتج عن هذا الفعل يعكس الانتقال من الضيق الداخلي **(المكان المغلق)** إلى مساحة من الراحة، ولو كانت نفسية فقط والإغلاق هنا للحالة النفسية.

سادساً: الفندق:

يعد من الأماكن التي حظيت باهتمام الروائي، فهو يعد مصورًا للأحداث ونقلها بكل تفاصيلها، فهو مكان تدور حوله الأحداث، إذ نجده حاضرًا في روايات **(حسن الموسوي)**؛ إذ يتجلى في رواية **(عصر الغياب)**، قال فيها:

((بعد جولة متعبة وصلت الى الفندق الذي أقيم فيه وهو فندق حديث وأغلب ساكنيه من أبناء المحافظات الباحثين عن فرص عمل جديدة.

آه لو كان الزمان على شكل عجلة لكان دورانه سهلا ولما كنا نعاني من كل ذلك الاهتزاز العنيف))[٢٣:١٢]

يتمثل الفندق بمكان حديث يسكنه الباحثون عن العمل؛ مما يوحي بالاغتراب المؤقت، إذ لا يشعر الفرد فيه بالاستقرار أو الانتماء، بل يعكس طابعًا عمليًا ووظيفيًا، وليس حميميًا مثل المنزل؛ مما يشير إلى حياة غير مستقرة مرتبطة بالسعي وراء الرزق، كما يمكن ان يكون الفندق مكانا أمنًا يلجأ إليه الناس من أجل حياة مستقرة وأمنة، ويظهر في صورة الزمان كعجلة، حيث يتمنى السارد أن يكون الزمن دائريًا ليسهل دورانه، أي تكون الحياة أقل تعقيدًا وأقل "اهتزازًا،" يعكس هذا التصور رغبة في التحرر من صعوبات الحياة التي تبدو كأنها اضطرابات دائمة، وفيه رمزية التوتر بين المغلق والمفتوح الذي يعكس الصراع الوجودي للإنسان بين البحث عن الأمان والاستقرار وبين الرغبة في الحرية والتحرر من قيود الحياة، وكأن الاهتزاز العنيف جزء من دورة الحياة التي لا مفر منها.

وفي موطن آخر من الرواية نفسها نجد أن **(الفندق)** بدا واضحًا وبارزًا للعيان، ومنها هذا النص الروائي الآتي:

((في الفندق أصبحت غرفتي شاهدا على كل الخيبات التي مررت بها، وها هو مسلسل الهزائم يطل من جديد فاغرا فاه متلقفا كل شيء جميل في حياتي.

أحقا تزوجت مريم؟ استحقت مريم أن أطلق عليها سيدة السراب فلقد تلاشت في مرايا الزمن بدون أثر))[٢٤:٦٣]

يبدأ الراوي حديثه بالفندق الذي يعد مكان إقامة مؤقت؛ إذ يستقطب مدة من الزمن أشخاصا ليس لهم مأوى. تمثل الغرفة فضاءً خاصًا ومنعزلاً، يعكس الحالة النفسية للبطل، حيث تصبح شاهدة على "الخيبات" التي عاشها، فالغرفة تعكس الإحساس بالعزلة والانفصال عن العالم الخارجي، كسجن داخلي للأفكار والمشاعر السلبية، فكأنَّ الغرفة تمتلك ذاكرة للأحداث المؤلمة؛ يجعلها حيزًا يتراكم فيه الحزن والانكسار يقول **(زواج مريم)** على النقيض من الغرفة المغلقة، يشير زواج مريم إلى عالم مفتوح مُلِئَ بالتغيرات والمفاجآت، وهناك تناقض واضح بين الغرفة

التي تعكس الجمود والانغلاق، وبين العالم الخارجي الذي يمضي متغيرًا، فالغرفة تمثل العجز والتقوقع في الذكريات، والزواج يمثل الحركة نحو المستقبل.

سابعاً: المكان المفتوح:

بعد أن تم التطرق إلى مفهوم المكان المغلق، وعرفنا أنه يتميز بحدود معينة ومحدودة على عكس ما سنتعرف عليه في هذا المبحث حول المكان المفتوح، حيث يتسم بالاتساع والتحرر، أي إنَّ المكان المغلق نقيض المكان المفتوح، فهو المكان الذي" يتردد عليه الفرد من دون قيد أو شرط مع عدم الإخلال بالعرف الاجتماعي بممارسة سلوك غير سوي، يرفضه المجتمع كالسرقة والعدوانية، وهو عنصر أساس تتحرك فيه الشخصيات الروائية فضلًا عن كونه عضيد الزمن الذي يتعامل معه الراوي" [٢٥:٨٠]، نلحظ مما سبق أنّ الأماكن المفتوحة تتميز بالاتساع؛ كونها امتداد للعالم الخارجي، فالأنهار والبحار والمدن والشوارع التي تنتمي إلى الطبيعة هي أماكن مفتوحة.[٢٦:٢٥٢]

وعند قراءتنا للمنجز الروائي لـ(حسن الموسوي) نلحظ توظف للأماكن المفتوحة في نصوصه؛ إذ سنتطرق في هذا المبحث إلى بعض هذه الأماكن، ومنها الآتي:

ـ الطريق:

يعد الطريق من الأمكنة المفتوحة التي وظفها الروائي **(حسن الموسوي)** في عدد من رواياته، إذ إنّ الطرق تدل على حركة، وهو لم يستعملها كوسيله تعبيرية، وإنَّما وسيلة رمزية في النص الروائي، فالطريق يعد رمزًا معبرًا، إمَّا عن الضياع الذي تعيشه الشخصية، وإمَّا للهرب من واقع معين أو وصف حالة يعيشها، وقد تجلى ذلك في رواية **(ليتني لم أفق)**، إذ يقول الروائي:

((في الطريق إلى كلية القوة الجوية بدأت خطواتي تتسارع من أجل الوصول باكرا، وما إن حطت قدماي بالمكان حتى سلمت ملفي الى المسؤولين على الفور بدأت سلسلة الاختبارات الصعبة من أجل الفوز بالقبول في كلية القوة الجوية. كان الطلاب المتقدمين للقبول والذين لا يملكون بنية جسمانية قوية يتساقطون في اختبارات الفحص المؤهل للقبول مثل فراشات تهافتت على ضوء شمعة فاحترقت لتسقط في زوايا العدم))[٢٧:٢٧].

يمثل **(الطريق)** في النص مكانًا مفتوحًا، يوحي بالحركة والحرية، حيث يتحرك الناس في فضائه الواسع، ويواصلون ديمومتهم عبره، ويسجلون نجاحهم أو فشلهم فيه، فالشارع أكثر من جغرافية، إنَّه الخيط الفاصل بين عالمين، عالم الستر، وعالم الجهر[٢٨:٢٦٣]، إذ يسرع السارد في خطواته للوصول إلى وجهته، وهو في فضاء واسع، يسمح بالتنقل والحركة. إنَّ اختبار الفحص المؤهل للقبول يجري في ساحة مفتوحة أو مكان واسع، إذ يتم اختبار البنية الجسدية للمتقدمين؛ مِمَّا يشير إلى أجواء تنافسية قاسية في فضاء غير محصور. وعند وصول السارد

إلى الكلية وتسليم ملفه إلى المسؤولين، ينتقل إلى مكان مغلق، ربما يكون مكتب الاستقبال أو قاعة التسجيل، حيث تبدأ الإجراءات الرسمية، والاختبارات الصعبة تشير إلى بيئة مغلقة، سواء أكانت قاعات اختبار أم أماكن تدريب تخضع لقواعد صارمة؛ مِمَّا يخلق شعورًا بالضغط والقيود، فمشهد سقوط الطلاب غير المؤهلين في "زوايا العدم" قد يرمز إلى عزلة نفسية أو شعور بالسجن داخل حدود الإقصاء والفشل.

وفي موطن آخر من رواية **(هلوسة في زمن الكورونا) نجد نصًا آخر يحمل في طياته الأمكنة المفتوحة، قال ((في الطريق الى العلياء حيث ملكوت السماوات التقيت بالأرواح التي اشتريتها من ذلك التاجر وزرعتها في أجساد المرضى المشرفين على الموت؛ أنكرت المشهد وحيت سألتهم عن سبب وجودهم هنا ابتسمت الأرواح وقالت إحداهن: إن جميع المرضى الذين زرعت فيهم الأرواح قد ماتوا مرة أخرى وسط ذلك المشهد المرعب وعلى غيمة قرمزية رأيت تاجر الأرواح وهو يجلس على عرش عظيم ويمسك بيده اليمنى صولجانا من الذهب))**[٢٩:٥٠].

يبرز في هذا النص المكان المفتوح المتباين من خلال العناصر المكانية المستخدمة التي تتمثل في الطريق إلى (العلياء)، وهو فضاء غير محدد، يوحي بالرحلة نحو السمو أو العوالم العلوية، ويعكس الشعور بالحرية والانطلاق، ولكنَّه في الوقت نفسه مشحون بالغموض والمجهول، فظهور الغيمة القرمزية **(الحمراء)** كجزء من هذا المكان المفتوح يضفي عليه طابعًا سرياليًا، يحمل طابعا مشحونا من الدلالات، يتمثل في أجساد المرضى الذين زرعت فيهم الأرواح، وهو فضاء محدود ومغلق، يرمز إلى الاحتجاز أو الحبس داخل الجسد الفاني أيضًا، فالمشهد الذي يجل فيه تاجر الأرواح على عرش عظيم يوحي بأنَّه مكان مغلق من حيث السلطة والسيطرة، حيث يمثل العرش مركزًا للنفوذ والسجن الروحي.

_ الشارع:

يعد الشارع من الأماكن المفتوحة، فهو مكان يتجمع فيه كثير من الناس، فهو أكثر من كونه مجرد طريق يُمَرُّ خلاله، فهو يُعد " صحراء المدينة، وجزؤها الزمني وحياتها الدائبة المتحركة، ولولب بعدها الحضاري لامتداده طاقة على مدى الخيال، ولانعطافاته تحولات في الزمان والمكان"[٣٠:١١٤]، إذ تعد الشوارع أماكن ومسارات، كما وصفها شاكر النابلسي " تشكل عصب الحياة بالنسبة للمدينة والبلدة والقرية والحي أيَضًا " [٣١:٥٢]، وعند قراءتنا للمنجز الثقافي للروائي **(حسن الموسوي)** وجدنا فيه**(الشارع)** بشكل ملحوظ، إذ تحدث قائلًا:

((بعد عناء يوم طويل خطرت ببالي فكرة نفذتها على الفور كنت حينها مارًا بالصدفة في شارع أبو نؤاس المحاذي لنهر دجلة بالقرب من نصب شهريار وشهرزاد، والذي قام بنحته الفنان محمد غني حكمت عام ١٩٧٥، ويقع في منطقة الكرادة الشرقية، وقد استخدم النحات مادة البرونز في عمله))[٣٢:٥٥].

يتمثل المكان المفتوح في هذا النص بشارع **(أبو نوّاس)** المحاذي لنهر دجلة، وهو فضاء عام مفتوح، يعكس الحرية والانطلاق، ووجود الماء والطبيعة يضفيان عليه طابعًا من الهدوء والتأمل، وهو مكان يرتبط بالحياة الاجتماعية، إذ يجتمع الناس للاستمتاع بالهواء الطلق والمناظر الجميلة. إنَّ هذا النوع من الأماكن يمنح الإنسان شعورًا بالتحرر من القيود والضغوط، ويتيح له فرصة للتواصل مع الطبيعة والآخرين.

إنَّ نصب **(شهريار وشهرزاد كرمز للحكايات والمكان المحدد)** الذي صممه الفنان محمد غني حكمت على الرغم من كونه في فضاء مفتوح يمثل مكانًا مغلقًا من الناحية الرمزية؛ فهو يوحي بالحكايات والأساطير المحصورة ضمن إطار محدد، حيث يرمز إلى عوالم شهرزاد وسردها المقيد بزمن وقصة معينة.

ونجد الأماكن المفتوحة من الرواية نفسها في النص الروائي الاتي، قال فيه **((وضعت منديلي على أنفي لكن رغم هذا بدأت بالعطاس مرات ومرات، أثار هذا الموقف الذعرِ في الشارع وهرب كل من كان بالقرب مني؛ لقد باتت رؤية الناس لرجل يعطس في الشارع العام مثل رؤيتهم لإرهابي يروم بتفجير نفسه وسط الجموع ما أشد قلق الناس، وخوفهم بعد الحملة الإعلامية الكبرى التي هولت ذلك الوباء المنتشر في كل أصقاع العالم))** [٣٣:٦٧]. نلحظ في هذا النص دلالة واضحة عن الشارع بوصفه مكانًا فيه رهبة وخوف حصلا عند الناس أثر المرض الذي أفتك بحياة كثيرٍ منهم، حيث أصبح الجميع متخوفين، حيث يهرب الجميع؛ فهو يبين لنا مدى الرعب الذي عمَّ الناس، وقد شبه هذا الحدث بالانفجار؛ مما زاد في حالة الهلع، حيث أصبحوا يشكون بأبسط تصرفاتهم، حيث يصفونها كالقنبلة المؤقتة التي يخاف الجميع منها، فهي تكشف لنا مديات الخوف والجهل التي حصلت في الشارع، حيث أصبح الناس يخشى بعضُهم الاقتراب من بعض الآخر.

يتبين لنا مما سبق أن الأماكن المغلقة والمفتوحة تؤدي دورًا مهمًّا في نمو الأحداث، وبيان علاقة الشخصيات فيما بينها، وبهذا يكون لها دور في أثراء المتلقي لفهم الشخصيات، وأن انغلاق المكان أو انفتاحه يرجع بالأصل إلى من يمر عبرها أو يسكنها.

الخاتمة:

نستنتج مما سبق أن الرواية تعتمد على تقاطبات مكانية مهمة، أولها المكان المغلق والمفتوح، حيث يتم الانتقال من المكان المغلق كالبيت إلى المكان المفتوح كالشارع، حيث تعد الشخصية المحور الأساسي الذي تدور حوله، كما نلاحظ أن روايات **(حسن الموسوي)** اهتمت بالتطرق إلى هذه الأماكن؛ لأنها تعكس صورة واضحة عن الطابع الاجتماعي الذي يسود المجتمع.

المصادر والمراجع:

(١) تحليل النص السردي: محمد بو عزه:١٠١.
(٢) بنية الشكل الروائي (الفضاء، الشخصية، الزمن): حسن بحراوي، ط١: ٣٠.
(٣) ينظر: جماليات المكان: غاستون باشلار:٣١.
(٤) بنية الشكل الروائي (الفضاء، الشخصية، الزمن): حسن بحراوي: ٣٤..
(٥) شعرية الخطاب السردي: محمد عزام، من منشورات أتحاد الكتاب العرب، دمشق،٢٠٠٥:٧٠
(٦) قضايا المكان الروائي: صلاح صالح:٧٤.
(٧) المكان في روايات غالب هلسا:(رسالة ماجستير)، سحر ريسان حسين بإشراف شاد ابراهيم جنداري جمعة، أ.د عبد الستار عبد الله المصلح، كلية التربية جامعة الموصل، ٢٠٠م: ٦٤.
(٨) المكان في الرواية البحرينية: فهد حسين، مملكة البحرين، فراديس للنشر والتوزيع، ط١،٢٠٠٣م:١٦٣.
(٩) جماليات المكان: غاستون باشلار:٩.
(١٠) الرواية والمكان: ياسين النصير، دار الحرية للطباعة، منشورات وزارة الثقافة والأعلام- جمهورية العراق بغداد، الموسوعة الصغيرة (١٩٥) ط٢،١٩٨٦م:٧٥.
(١١) ليتني لم أفق: حسن الموسوي:١٨،١٩.
(١٢) جماليات المكان في رواية رحمة نجاة مزهود: رسالة ماجستير، جامعة محمد خضير بسكرة، كلية الآداب واللغات، الجزائر، الجزائر، ٢٠١٦:٣٦.
(١٣) ليتني لم أفق: حسن الموسوي:٣٢.
(١٤) بناء الرواية: سيزا قاسم:١٠٤.
(١٥) طفل ودفتر ذكريات: حسن الموسوي:٣٧.
(١٦) جمايات المكان: غاستون باشلار:٤٥.
(١٧) صرخة من ذاكرة امرأة: حسن الموسوي:٢٠.
(١٨) بنية الشكل الروائي: حسن بحراوي:٤٤.
(١٩) الإنسان والجدار: بدر عبد الملك، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ١٩٩٧: ٩٧.
(٢٠) طفل ودفتر ذكريات: حسن الموسوي:٥٠.
(٢١) جماليات المكان: غاستون باشلار: ٣٦.
(٢٢) المصدر السابق نفسه:٦٦.
(٢٣) عصر الغياب: حسن الموسوي:١٢.

(٢٤) عصر الغياب: حسن الموسوي:٦٣.

(٢٥) المكان في الرواية البحرينية: فهد حسين، مملكة البحرين، فراديس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م:٨٠.

(٢٦) ينظر: جماليات التشكيل الروائي: دراسة في الملحمة الروائية (مدارات الشرق) لنبيل سليمان، محمد صابرعبيد، سوسن البياتي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ٢٠٠٨م: ٢٥٢.

(٢٧) ليتني لم أفق، حسن الموسوي:٢٧.

(٢٨) ينظر: دلالة المكان في رواية الورم لمحمد ساري: ليلى قاسحي، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية، العدد٣٠، ٢٠١٤: ٢٦٣.

(٢٩) هلوسة في زمن الكورونا: حسن الموسوي:٥٢.

(٣٠) الرواية والمكان: ياسين النصير: ١١٤.

(٣١) دلالات المكان في روايات هيثم بهنام بردى: محمود ناصر نجم، أربيل، ٢٠١٦: ٥٢.

(٣٢) هلوسة في زمن الكورونا: حسن الموسوي:٥٥.

(٣٣) هلوسة في زمن الكورونا: حسن الموسوي ٦٧.

Sources and References:

(1) Narrative Text Analysis: Muhammad Bu Azza: 101.
(2) The Structure of the Novelistic Form (Space, Character, Time): Hassan Bahrawi, 1st ed.: 30.
(3) See: The Aesthetics of Place: Gaston Bachelard: 31.
(4) The Structure of the Novelistic Form (Space, Character, Time): Hassan Bahrawi: 34.
(5) The Poetics of Narrative Discourse: Muhammad Azzam, published by the Arab Writers Union, Damascus, 2005, 70.
(6) Issues of Narrative Place: Salah Saleh: 74.
(7) Place in the Novels of Ghaleb Halasa: (Master's Thesis), Sahar Risan Hussein, supervised by Shad Ibrahim Jandari Juma, Prof. Abdul Sattar Abdullah Al-Muslih, College of Education, University of Mosul, 2004: 64.
(8) Place in the Bahraini Novel: Fahd Hussein, Kingdom of Bahrain, Faradees Publishing and Distribution, 1st ed., 2003: 163.
(9) The Aesthetics of Place: Gaston Bachelard: 9.
(10) The Novel and Place: Yassin Al-Naseer, Dar Al-Hurriyah for Printing, Publications of the Ministry of Culture and Information – Republic of Iraq, Baghdad, Al-Mawsu'ah Al-Safira (195), 2nd ed., 1986: 75.
(11) If Only I Had Never Awoke: Hassan Al-Moussawi: 18, 19.
(12) The Aesthetics of Place in the Novel Rahma Najat Mazhoud: Master's Thesis, University of Mohamed Khudeir Biskra, Faculty of Arts and Languages, Algeria, 2016: 36.

(13) I Wish I Had Never Awoke: Hassan Al-Moussawi: 32.
(14) The Structure of the Novel: Seza Qasim: 104.
(15) A Child and a Notebook of Memories: Hassan Al-Moussawi: 37.
(16) The Assemblies of Place: Gaston Bachelard: 45.
(17) A Scream from a Woman's Memory: Hassan Al-Moussawi: 20.
(18) The Structure of the Novelistic Form: Hassan Bahrawi: 44.
(19) The Man and the Wall: Badr Abdul Malik, Dar Al-Mada for Culture and Publishing, Damascus, 1st ed., 1997: 97.
(20) A Child and a Notebook of Memories: Hassan Al-Moussawi: 50.
(21) The Aesthetics of Place: Gaston Bachelard: 36.
(22) The same source: 66.
(23) The Age of Absence: Hassan Al-Moussawi: 12.
(24) The Age of Absence: Hassan Al-Moussawi: 63.
(25) Place in the Bahraini Novel: Fahd Hussain, Kingdom of Bahrain, Faradees Publishing and Distribution, 1st ed., 2003: 80.
(26) See: The Aesthetics of Novel Formation: A Study of the Epic Novel (Orbits of the East) by Nabil Suleiman, Muhammad Saber Obaid, Sawsan Al-Bayati, Dar Al-Hiwar for Publishing and Distribution, Latakia, 1st ed., 2008: 252.
(27)I Wish I Had Never Awoke: Hassan Al-Moussawi: 27.
(28) See: The Significance of Place in Muhammad Sari's Novel The Tumor: Laila Qashi, Al-Hikma Journal for Literary Studies, Issue 30, 2014: 263.
(29) Hallucination in the Time of Corona: Hassan Al-Moussawi: 52.
(30) The Novel and Place: Yassin Al-Nassir: 114.
(31) The Implications of Place in the Novels of Haitham Bahnam Bardi: Mahmoud Nasser Najm, Erbil, 1st ed., 2016: 52.
(32) Hallucination in the Time of Corona: Hassan Al-Moussawi: 55.
(33) Hallucination in the Time of Corona: Hassan Al-Moussawi: 67.